# الشرق والاستشراق والدراسات الشرقية

## مائدة مستديرة نظمتها جامعة جنيف بتاريخ ١٧ شباط ١٩٨٩(*)

□ تعريب الدكتور محمد طجو
كلية الآداب - جامعة حلب

**المشاركون :**

- سيمون جارغي ( الفلسفة والأدب العربيان)
- شارل جنوغا ( اللغة والحضارة العربيتان )
- جان فرانسوا بيلتر ( الأدب وفقه اللغة في الصين)
- روبر هاينمان ( اللغة والأدب في اليابان )
- ألان غروريشار ( الأدب الفرنسي المعاصر )

**تسجيل الحوار :** كارل بوسكو

- سيمون جارغي :

لقد أطلقت كلمة شرق على الشرق الكلاسي والذي يمتد من اليونان حتى إيران والهند الإسلامية فقط . وهذا مادفع بالدراسات الاستشراقية ومؤتمر المستشرقين الأول الذي انعقد في عام ١٨٧٣ إلى تركيز الاهتمام على الدراسات العربية والإسلامية .

(*) هذه ترجمة للنص الذي نشرته مجلة دفاتر كلية الآداب ، جامعة جنيف في العدد ١ ، السنة الثانية ، ١٩٨٩ والأراء الواردة فيه لاتعبر عن رأي المترجم .

والمصرية والأشورية والإيرانية إضافة إلى الدراسات الهندية والصينية وكان علينا الانتظار حتى عام ١٩٦٣ لينعقد مؤتمر للمستشرقين في أسيا وفي مدينة نيودلهي . وقد كنت هناك وكان حدثاً عظيماً .

وبعد ذلك تم توسيع مجال الاستشراق وإدخال الدراسات اليابانية ومايتصل بالقارة الأسيوية بمجملها . زد على ذلك أن الاستشراق الذي ظهر في أوروبا ظل لفترة طويلة من اختصاص الغربيين الذين كانوا يهتمون بالشرق . وهذا يعني انه لم يكن يشمل علماء وكتاب البلاد المعنية . وهنا أيضاً كان علينا انتظار مؤتمر موسكو الذي انعقد عام ١٩٦٠ لنرى حضور العرب والأتراك والإيرانيين- الذين تلقوا تعليمهم في الجامعات الغربية - على ساحة الاستشراق .

وهناك ظاهرة أخرى وهي اختلاف الشرقيين فيما بينهم حول مفهوم الاستشراق القديم والمتعلق بالحقبة الاستعمارية . وقد قرر مؤتمر ١٩٧٣ الذي انعقد في الذكرى المئوية التخلي نهائياً عن كلمة " استشراق " لصالح " العلوم الإنسانية الأسيوية والأفريقية " التي وجدت لها في غضون ذلك مكاناً في المؤتمر الذي شهد فعلياً بهذه المناسبة موت الاستشراق . ومع ذلك فقد كان هناك إحساس بالحاجة إلى تأسيس جمعيات علمية لكل تخصص : وهكذا أقيمت مؤتمرات الدراسات العربية والإسلامية والإيرانية ، الخ .

- شارل جنوغا :

حتى النصف الأول من القرن الحالي ، كان لمعظم المستشرقين - بالمعنى الضيق للكلمة - صلات أكثر بالعلوم الإنجيلية من جهة ، وبالعصور الإغريقية - اللاتينية من جهة أخرى .

- جان فرانسوا بيلتز :

قد يكون مفهوم الاستشراق خال من المعنى اليوم ، لكن القضايا المشتركة لتخصصاتنا ليست قليلة ويبقى مفهوم الاستشراق حاضراً في الأذهان .

- سيمون جارغي :

إذا كانت الدراسات العربية والإسلامية اتجهت قبل كل شيء البحر الأبيض المتوسط ( شرقاً وغرباً ) ، فإن العلاقات التاريخية والثقافية والعلمية مع الصين كانت دائماً قائمة ، وقد ورثت الحضارة العربية والإسلامية الشيء الكثير عن الصين والهند عبر إيران ؛ فإن هي نقلت الكثير ، فإنها أيضاً أخذت الكثير .

- جان فرانسوا بيلتز :

عندما نقوم باجراء امتحانات في كلية الآداب فإننا نفعل ذلك لأن الاختراع الصيني للامتحان الكتابي المشفوع بالعلامات نقل إلينا في الواقع بواسطة العرب في العصر الوسيط . وهذا مثال .

" قد يكون مفهوم الاستشراق خال من المعنى اليوم ، لكن القضايا المشتركة لتخصصاتنا ليست قليلة ويبقى مفهوم الاستشراق حاضراً في الأذهان .

- سيمون جارغي :

إن هذه العلاقات في مجالات العلوم والموسيقى وحتى الأدب تم إخفاؤها فيما بعد لأسباب سياسية وعسكرية .

- جان فرانسوا بيلتز :

هل ينبغي القول أنه تم إخفاؤها أم أنه لم يتم تسليط الضوء عليها مطلقا؟ إن جميع المعارف التاريخية التي نهلنا منها تكونت في كنف الأمم

والإمبراطوريات والديانات ولاتخص بالتالي سوى جزءاً من الواقع التاريخي . ومن الضروري بذل جهد " عبر تخصصي " INTERDISCIPLINAIRE هائل لإدراك تاريخ العالم القديم ككل . وعندها قد تظهر معطيات وعلاقات جديدة لم توضحها التخصصات الحالية . ففي تاريخ العلوم ، لدينا عدداً من المعطيات التي تتعلق بصناعة الورق أو بناء الجسور ؛ فقد أرسل المنغوليون مهندسين صينيين إلي بلاد فارس ، وعلى صعيد التقنيات ، فإن الوقائع سهلة البرهان نسبياً . أما على صعيد الاقتصاد الكلي فإن التوازنات الكبرى التي أثرت في أسيا بأكملها غير معروفة ولانستطيع سوى التكهن بها .

– سيمون جارغي :

وبالنسبة للعلماء ، ألم ترتبط كلمة الشرق ارتباطاً أكثر دقة بالشرق الأوسط وبشرقي المتوسط ؟

– جان فرانسوا بيلتر :

متى ظهرت عبارتا " الشرق الاوسط " و" الشرق الأقصى " ؟

– سيمون جارغي :

منذ عهد قريب جداً . ولم تستخدم عبارة " الشرق الاوسط " إلا بعد الحرب العالمية الثانية . وقد قام باشتقاقها " الأنكلوساكسونيون " لضرورات الحرب . وكان الشرق الاوسط MIDDLE EST يشمل اليونان وقبرص وكل الشرق الأوسط الحالي وإيران والهند . وهذا يعكس مفهوماً سياسياً وعسكرياً . وقد ظل مستخدماً . وظهرت عبارة الشرق الأقصى في تلك الفترة لتميز ماتبقى من آسيا عن الشرق الأوسط هذا الذي أطلق عليه الفرنسيون اسم " المشرق " LEVANT لحقبة طويلة .

– روبير هاينمان :

ومع ذلك ، ليست عبارة الشرق الأقصى حديثة العهد . وأُذَكِر بوجود إحدى الدول التي كانت تشكل حاجزاً في الفترة ١٩٢٠ – ١٩٢٢ بين جمهورية روسيا الإتحادية الإشتراكية وقوات الغزو اليابانية : إن مايسمى بـ " DAL' NEVOSTOCHNAYA RESPUPLIKA " قام اليابانيون بترجمته إلى : " KYOKUTÔ - KYÒWAKOKA " ؛ اي جمهورية الشرق الأقصى حيت أن الكلمة التي تدل على الشرق الأقصى هي الكلمة ذاتها KYOKUTÔ التي مازال اليابانيون يستخدمونها اليوم ، والمقصود بها هنا شرق أقصى مرئي من موسكو .

– جان فرانسوا بيلتر :

إن هذه العبارات تبرر بعدة مفاهيم مكانية . فكلمة " يابان " هي من أصل صيني وتعني حرفياً " أصل الشرق " أي المكان الذي تشرق منه الشمس – ( JE - PEN ) في اللغة الصينية و NIPPON في اللغة اليابانية – تماماً مثل أحد أسماء كوريا ؛ " ندى الصباح " TCH' AO - SIEN في اللغة الصينية و CHOSON في اللغة الكورية و CHÔSENفي اللغة اليابانية الذي لامعنى له إلا بالنسبة إلى الصين .

وثمة حقيقة أخرى مهمة : في بعض النصوص الصينية من عهد هان HAN ، في بداية عصرنا أطلق على الإمبراطورية الرومانية اسم TA TS' IN أي " تسين الكبرى " و TS' IN كان اسم المنطقة التي يمر منها طريق الحرير في الصين ؛ اي اقليم " شينزي " SHENSI الحالي. وقد كانت " تسين الكبرى " بالنسبة للصينيين الإمبراطورية الواقعة ماوراء " تسين " . أما في الغرب فإن كلمة TS' IN أعطت كلمة " الصين " ؛ أي أن الجزء أعطى إسمه للكل والمقاطعة التي كان يتم المرور

بها من جهة الغرب لبلوغ الصين أفادت في تسمية الامبراطورية التي كانت تمتد الى أبعد من ذلك.

- سيمون جارغي :

وماذا كان الصينيون يطلقون على البلاد العربية والإسلامية ؟

- جان فرانسوا بيلتر :

لاوجود لتسمية صينية خاصة ؛ فالصينيون يستخدمون الأسماء العربية التي يقلدونها تقليداً صوتياً

- سيمون جارغي :

إن العرب أنفسهم بدؤوا بالتحدث عن شرقيين إبان الانتصارات اليابانية على الامبراطورية الروسية لشعورهم بالفخر . فقد كان اليابانيون شرقيين مثلهم ؛ ففي تلك الفترة كانت السياسة حاضرة أيضاً.

- روبر هاينمان :

إن اليابانيين يتجنبون - منذ نهاية الحرب العالمية الثانية - عبارة الشرق الأسيوي TÔ-A التي تُذكر كثيراً بالفترة التي كانوا يدّعون فيها إقامة " منطقة ازدهار مشترك في شرق أسيا " . وهم يفضلون اليوم التحدث عن الشرق الأقصى أو أسيا الشرقية .

- سيمون جارغي :

إن أحد الأسباب التي جعلت العرب يتجهون نحو الغرب والمتوسط هو أن علاقاتهم الروحية مع اليهود والمسيحيين كانت أكثر من علاقاتهم مع الصين التي تعتبر وثنية .

- جان فرانسوا بيلتر :

لقد لعب المسلمون في الصين دوراً أكثر أهمية من الدور الذي يقر به التاريخ الرسمي وخاصة إبان حكم أسرة " مينغ " LES MING (١٣٦٨ - ١٦٤٤) حيث أصبح بعض أفرادها كبار موظفي الدولة .

- آلان غورريشار :

إلى أي عصر تعود عبارة " امبراطورية الوسط " ؟

- جان فرانسوا بيلتر :

إنها تعود إلى الممالك المحاربة بين القرنين الخامس والثالث قبل الميلاد . إنها لاتعني إمبراطورية الوسط وإنما ممالك المركز ؛ أي الممالك التقليدية التي كانت تشكل مركز العالم الصيني ، تمييزاً عن الدول الكبيرة المحيطة التي كانت تشكل قوى جديدة ، وبعد ذلك أطلقت الصين على نفسها وبصورة عامة خلال ألفي عام إسم الأسرة المالكة . وهكذا أعطت أسرة هان HAN - وهو إسم العائلة الامبراطورية الأولى التي حكمت من - ٢٠٦ حتى + ٢٢٠ - إسمها للعرق الصيني. وقد تشكلت القرى الصينية ماوراء البحار إبان حكم أسرة تانغ T' ANG ( من ٦١٨ حتى ٩٠٧) . وكان يطلق على القرويين الصينيين آنذاك " رجال أسرة تانغ " وفي أيامنا أيضاً يطلق على الأحياء الصينية في المدن الأوربية الكبرى وفي الولايات المتحدة " شوارع رجال أسرة تانغ " . وهذا الخطأ التاريخي ذو دلالة . وقد اضطر الصينيون في العصر الحديث إلى اعتبار الصين أمة وإيجاد إسم لها وإلى إعادة اعتبار كلمة TCHOUNG - KOUO التي كانت تشكل جزءاً من تراثهم وتفيدهم من جديد .

## " لم تستخدم عبارة الشرق الأوسط إلا بعد عام ١٩٤٥ وقد اشتقت لضرورات الحرب "

- روبير هاينمان :

في اليابان ، وحتى أيامنا هذه ، يطلق على الدراسات الصينية "دراسات أسرة ( أو عن أسرة ) هان : KANGAKU "
ولكن ماذا عن الإسم الذي يشير الى المسلمين في اللغة الصينية HOUEI ؟

- جان فرانسوا بيلتر :

توجد في الصين أقلية قومية مهمة وهم مسلمون لكنهم لم يعودوا يتمتعون بانتماء عرقي او انتروبولوجي خاص . وانتماؤهم هو انتماء ديني ومعترف به سياسياً ولهم في عدة مناطق مقاطعات مستقلة وإقليم مستقل وهو اقليم NINGSIA في الشمال الغربي . لكن كلمة HOUEI لاتنطبق اليوم الا على مسلمي الصين .

- سيمون جارغي :

وهي كلمة يمكن تقريبها من الجذر العربي " أخ " " أخوة "، وتعتبر الأخوة ضرورة أساسية في الإسلام وبخاصة في الجماعات الصغيرة.

- جان فرانسوا بيلتر :

لنتذكر سريعاً الطاقة التي يستغل بها المسلمون الصينيون الإمكانيات التي توفرها الإصلاحات الاقتصادية الجارية . إذ إن أغنى متاجر بكين يديرها غالباً مسلمون .

■

- جان فرانسوا بيلتر :

إن النصوص التي يُفضل دراسة اللغة الصينية من خلالها تعود للقرون الخامس والرابع والثالث قبل الميلاد ، وأقدم لغة صينية - إن جاز القول - هي حوارات منسيوش MENCIUS (حوالي ٣٢٧ - ٢٨٩) الفلسفية التي تعادل حوارات أفلاطون . ومنسيوش هذا هو أول مؤلف نعرف عنه بشكل مؤكد أنه هو الذي كتب مؤلفه .

- سيمون جارغي :

أما الادب العربي فقد بدأ قبل الإسلام ، وكان شفاهياً ، وقد ظهرت الكتابة فيما بعد. ولم يدون الأدب كتابياً إلا بدءاً من القرن الثامن الميلادي .

- روبر هاينمان :

فالوضع مشابه إذن في اليابان : لقد حل الأدب المكتوب محل الأدب الشفاهي بعد ظهور الكتابة ؛ أي الكتابة الصينية . وفي اليابان أيضاً ، يمكن التحدث عن أدب حقيقي بدءاً من القرن الثامن الميلادي .

- جان فرانسوا بيلتر :

في الصين ، هناك الكتابة أولاً : وقد لعبت الكتابة في البداية دوراً دينياً جوهرياً ؛ إذ انها أفادت العرافين في العصر القديم حوالي ( - ١٤٥٠ حتى ١٠٥٠ ) في تدوين الاجابات التي تقدمها الآلهة رداً على اسئلتهم . وقد استخدم نظام الإشارات فيما بعد لتدوين الكلام الانساني ، ولكننا لانعلم الكثير عن كيفية حدوث الانتقال ؛ فهناك لغز لم يفسر بعد . ومن المؤكد أن العلاقة بين الكتابة والكلام في الأصل وفيما بعد في الصين تختلف كل الاختلاف عن العلاقة ذاتها عندنا .

- سيمون جارغي :

حول هذه النقطة ، يلاحظ وجود اختلاف جوهري عن الحضارات السامية . فالآلهة تتكلم ولاتتمتع الكتابة إلا بأهمية ثانوية وهي أداة استذكار ، والأولوية للشفاهية أي للكلمة والمقدس هو الكلام وليست الكتابة .

* * *

- كارل بوسكو :

ألم تظهر إشكالية الشرق والاستشراق مع انتشار الإسلام منذ القرن السابع الميلادي ؟ في السابق كانت هناك الفسحة الهندية الأوربية التي تمتد - بشكل مبسط - من ايسلندا الى مصب نهر الغانج : الإغريق والفرس في خصام ولكنهم مع ذلك أبناء عم . وقد أثرت حكمة المجوس في الإغريق الذين عمل بعضهم في خدمة الفرس . وقد دعم الإسكندر هذه الصلة . أليس الفتح العربي هو الذي سبب القطيعة التي نتحدث عنها ؟

- سيمون جارغي :

بلاريب .. ومايقال عن الشرق ، يقال أيضاً عن الاستشراق الذي يقوم على معطيات لاهونية وإنجيلية .

- آلان غروريشار :

إن المواجهة بين الغرب والشرق بدأت مع ذلك مع الإغريق الذين اعتبروا أنفسهم أهل المنطق خلافاً للآخرين الهمجيين ، لاسيما الأسيويين منهم ؛ أي الفرس . وبالنسبة لأرسطو - وهذا مثال حي على ذلك لأنه أُدرج فيما بعد في خطاب الكنيسة - كل ما ليس اغريقياً يعد همجياً - وعلى هذا فإن كل همجي هو عبد بطبيعته ،

والعبد بحاجة الى سيد ومن المنطقي أن يكون سيده حكيما وإغريقيا . وهذا مايفسر تفسيرا جزئيا مشروع الإسكندر . إن في ذلك بنية فكرية وجد فيها الغرب نفسه وبخاصة الكنيسة .

" إن مايعرف الغرب ، إضافة إلى تموضعه في أوروبا ، هو نمط من الخطاب الذي ينطق به أفرادهم نفسهم متموضعون ، يؤكدون تمثيلهم للإنسانية جمعاء وقول الحقيقة عن الآخرين "

سيمون جارغي :

من المؤكد أن الإغريق اعتبروا الشعوب الأجنبية همجية . ولكن مع انتشار الهلينية التي تأصلت في الشرق الأوسط بأكمله ، تم دمج هذا الشرق مع العالم الهليني حتى ظهور الاسلام . وحتى عندما حافظت عامة الناس على لغاتها - كالأرامية مثلا - فإن الطبقات الحاكمة والمثقفة كانت هلينية . وقد حطم الإسكندر في الواقع الحاجز بين الإغريق والهمج وحاول خلق وحدة ثقافية تمتد حتى إيران . وعندما استوعب الإسلام الهلينية فإنه دفع بهذا الحاجز حتى الهند والصين .

- روبر هاينمان :

يمكنني أن أضيف أن الغربيين ، لاسيما البرتغاليين والإسبانيين والإيطاليين - عُرفوا - خاصة في القرنين الخامس عشر والسادس عشر بمتخلفي الجنوب . وهي عبارة أُخذت عن الصينيين الذين أطلقوها على الأعراق الجنوبية التي ليست صينية .

- جان فرانسوا بيلتر :

إن المفهوم الإغريقي القائل بوجود مدينتين يبدو لي هاماً ، وهو يلعب دور الأسطورة المؤسسة التي نرى أثرها في كليتنا. لماذا يختار بعض الطلاب دراسة لغة وحضارة الصين ؟ لقد أخبرني أحدهم بأنه " يريد رؤية الوجه الآخر للعالم " . وأنا أشاركه وجهة نظره وأتساءل في

الوقت ذاته عن شرعيتها . لقد اعتبرت الصين لفترة طويلة كعالم آخر وقد غيرت الماوية MAOISME هذه النظرة . واليوم نجد أن أزمة النظام والفساد والتضخم والتلوث تدمج الصين مع بقية العالم . وهذا جد صحيح بحيث أن الطلاب الذين يشعرون هنا بالراحة أكثر من غيرهم هم مكسيكيون يواجهون المشاكل ذاتها في بلادهم ، في حين أن الطلاب السويسريين يشعرون بأنهم حائرين في البداية . وبالنسبة لمن يرى الأشياء بعمق أكبر ، فإن الصين تبقى عالماً مختلفاً جداً . وقد عدت إلى هناك في الصيف الماضي . وبعد اجازة قصيرة في اليابان ، سنحت لي فرصة قضاء ثلاثة أيام في بومباي .. وهي زيارتي الأولى للهند . وكانت مكثفة جداً سيطر عليَّ خلالها شعور بأنني أعود إلى وطني في المنطقة الهندية - الاوربية . وهذا يعود إلى الكتابات الصوتية وإلى التعددية العرقية والدينية وإلى بعض الملامح الجسدية ؛ أي إلى أهمية التقوس الحاجبي في الوجه مثلاً وأيضاً إلى بعض الأزياء وإلى ارتداء الساري SARI [(١)] الذي يذكر بارتداء . التوجة TOGE القديمة [(٢)] فأنا الذي كنت أقول بنسبية الإختلاف بين جزئي العالم وأشعر به اليوم من جديد بشكل أكثر وضوحاً .

- روبر هاينمان :

سأميز بعض الشيء .. من المؤكد أن الهنود هم مثلا أقرب الينا من اليابانيين . ولكن عندما نذهب إلى اليابان فإننا نجد أنفسنا في أوروبا. وقد أصبح وجه الأشياء غريباً ، وهذا مالا نجده في الهند إلا ضيق . فالطالب الذي يذهب إلى اليابان لايجد المجلوبية EXOTISME الكافية ؛ لأن الاستشراق هو المجلوبية أولاً . ومع ذل: تبقى اليابان في الأعماق مخلصة لذاتها .

---

(١) الساري هو الثوب الذي ترتديه الهنديات .
(٢) التوجة هو ثوب القضاة أو المحامين

- شارل جنوغا :

إذا كانت الصين واليابان تعطيان انطباعاً بالاقتراب من أوروبا ، فإن العالم الإسلامي يبدو ، على عكس ذلك ، يبتعد عنها .

- سيمون جارغي :

ومع ذلك فإن الشعب الهندي الذي أعرفه جيداً هو أكثر تمسكاً بتقاليده - ولاسيما في المجال الموسيقي - من الشعوب العربية . أما على الصعيد الديني فإننا نجد التسامح ذاته والتعددية ذاتها التي تمارس في الغرب منذ أمد قريب في الواقع ، في حين يستمر العرب المسلمون في رفضهم لذلك . وفيما يختص بطلابنا الذين يذهبون إلى بلاد عربية ، فإنهم يجدون هناك طبيعة عمرانية تشبه التي عندنا - مبان ومحلات وسيارات ، الخ - لكنهم يضطربون بسبب استمرار عادات وعقليات وأخلاق تبعدهم عن وسطهم الأصلي وتجعل اتصالاتهم هناك صعبة .

- جان فرانسوا بيلتر :

قد تبعث تجربة الصين على النشوة ولكنها تجربة قاسية أيضاً . وقد يشعر الطلاب الذين يذهبون الى هناك لمتابعة دراساتهم بأنهم هامشيون مرتين : في الصين أولاً لأنهم أوربيون وهنا ثانياً لأنهم لايتوصلون إلى إشراك الآخرين في تجربتهم التي مروا بها هناك . وقد تصبح هذه العداوة المضاعفة المحرك لمشروع فكري ولبحث تركيبي يجعل التواصل ممكناً . وهكذا تحل حوافز جديدة محل الحوافز الأولية .

- آلان غروريشار :

لنعد إلى مسألة الشرق بالمعنى الضيق حيث يتم تمييزه تمييزاً موجزاً عن الغرب . إن الغرب يتصف جوهرياً في العصر الكلاسي بأنه

ملفوظية خطاب يهدف إلى الشمولية . وهو المكان الذي يدعي فيه عدد من الأفراد والفلاسفة قول الحقيقة حول كل شيء . كل شيء عن الطبيعة وعن الشعوب الأخرى بواسطة الوسائل العقلية التي اكتسبوها . إنه زمن العلم الحديث الذي يقدم أنماطاً للشمولية ، حيث تتناقض فكرة الحقيقة المنزلة مع الحقيقة القائمة على التجربة ؛ أي مع الحقيقة الموضوعية التي تستخدم المنطق الرياضي والشمولي . وانطلاقاً من هذا العلم ومن قوانينه ، بدأ ينمو خطاب أنتروبولوجي في القرن الثامن عشر كما هي الحال عند بوفون* BUFFON مثلا .

إن مايعرف الغرب ، إضافة إلى تموضعه في أوروبا ، هو إذن نمط من الخطاب الذي ينطق به أفرادهم نفسهم متموضعون ويؤكدون تمثيلهم للإنسانية جمعاء وقول الحقيقة عن الآخرين . وهذا مايبرر جزئياً المحاولات الاستعمارية التي تهدف إلى تنوير الشعوب التي تغوص في الظلمات ومساعدتها في إدراك الفكر الشمولي . فهل تجدون موقتاً مشابهاً في التخصصات التي تعلمونها عند الشعوب التي تقومون بدراستها ؟

– روبر هاينمان :

إننا نجد في الشرق الأقصى أنظمة تدعي الشمولية وإنما على صعيد آخر . ولنبدأ بالبوذية . إن التغير حقيقة كونية . والبوذية هي احدى الديانات الكونية الثلاثة الكبرى . أما فلسفة كونفيوشوس التي جاءت في الصين ، فإن اليابانيين يعتبرونها مذهباً عالمياً مقبولاً .

– جان فرانسوا بيلتر :

الموضوع حساس : كل الحضارات الكبرى تصورت نفسها كونية بطريقة أو بأخرى . ويبدو لي أن القطيعة التي حدثت في أوروبا ترتبط بظهور الإنسان المفكر الذي يُعرف نفسه على أنه الفاعل

للمقترحات التي يقدمها - وهو لايدعي امتلاك الحقيقة من منطلق أنه مسيحي أو فرنسي مثلا وإنما من منطلق أنه يفكر ويدعو الآخرين للتفكير بهدف الوصول إلى الحقيقة .

- آلان غروريشار :

إن الموضوع ليس " إنك تقول ذلك لانك لست صينياً " وإنما " إنك تقول ذلك لأنك تخطىء ولأنك لاتفكر جيداً " .

- سيمون جارغي :

أليس الادعاء بالشمولية الذي يعود للعصر الحديث نقلاً للادعاء القديم بالشمولية والخاص بالكاثوليكية الرومانية ؟

آلان غروريشار :

بالتأكيد . ومن هنا كان رد فعل الكنيسة على غالينوس مثلا. وفيما يختص بالاستشراق ، إذا اصبح كل شيء موضوعاً للعلم بدءاً من القرن الخامس عشر - ويدخل في إطار ذلك الكتابة - فإن الشرق أصبح كذلك . إنه جهد يهدف للسيطرة على الآخر بالمعرفة التي ترافقها سيطرة اقتصادية وسياسية .

- سيمون جارغي :

ومن هذا المنطق نذكر بأن أرنست رونان RENAN هو أحد مؤسسي الاستشراق .

" إن زمن الاستشراق هو الزمن الذي وجد فيه أناس اهتموا بالشرق لسبب أو لآخر وكرستهم السلطة السياسية . إنه ايضاً زمن الدراسات الشرقية التي انفصلت عن الدراسات الإنجيلية بهدف الاعتماد على فقه اللغة والتاريخ ""

- آلاف غروريشار :

يمكن العودة إلى ماقبل ذلك ؛ أي إلى تأسيس مدرسة اللغات الشرقية في عام ١٧٩٥ وحتى إلى نهاية القرن السابع عشر والى أنطوان غالان GALLAND مترجم **ألف ليلة وليلة** الذي كان أحد أعضاء فريق شكله لويس الرابع عشر لدراسة الشرق . إن زمن الاستشراق هو الزمن الذي وجد فيه أناس اهتموا بالشرق لسبب او لآخر وكرستهم السلطة السياسية .

- سيمون جارغي :

لكن الاستشراق بالمعنى المعاصر للكلمة ، ظهر في الوقت الذي انفصلت فيه الدراسات الشرقية عن الدراسات الإنجيلية بهدف الاعتماد على فقه اللغة والتاريخ .

- جان فرانسوا بيلتز :

لقد مر الاستشراق بعدة مراحل متناقضة جداً . وكما يُذكر بذلك روجية بول دروا R- P. DROIT (١) في كتاب صدر مؤخراً ، فإن الإغراء الذي مارسته الهند على الاستشراق الألماني هو مرحلة هامة من هذا التاريخ .

- شارل جونوغا :

فيما يختص بالإسلام وادعاءه بالشمولية ، أذكر بأنه يعتبر ذاته ، خلافاً لكل حقيقة تاريخية ، الدين الأول ؛ دين ابراهيم الذي حرفه اليهود والمسيحيون وأسسه محمد ( ص ) . ويؤكد أحد الأحاديث

(١) روجيه بول دروا: نسيان الهند . فجوة فلسفية . المطابع الجامعية الفرنسية . باريس ١٩٨٩ .

(النبوية) بأن الطفل سيكون مسلماً إذا ترك ليكون نفسه بنفسه - والطفل يولد مسلماً ، والإسلام هو دينه الأول - الإسلام بمعنى الوحدانية الخالصة .

- روبر هاينمان :

يمكن القول بأن الياباني الصغير يولد شنتوياً ( نسبة الى ديانة اليابان الاهلية ) . والملاحظة أنه يبقى شنتوياً حتى لو أصبح بوذياً .

- جان فرانسوا بيلتر :

لنعد إلى ماكان يقوله آلان غروريشار منذ برهة : علينا التنويه إلى الإختلاف الدائم في وجهات النظر ، لابل إلى تعارضها . إن الطالب الذي يذهب إلى الصين يكتشف شيئاً فشيئاً بأنه ليس فقط سويسرياً وإنما أيضاً غربيا ووريثا لتقليد فكري تحدثنا عنه للتو . وقد يحث أن يناقش في كلمات اعتاد على اعتبارها عقلية وشمولية وأن محدثه الصيني يرفض على العكس منطقة على أنه أوربي . وإذا فكر بذلك ، فإن هذا الفشل يمكن أن يوضح له بأن هذا الاشراق الثقافي وهذا المفهوم المجرد للفرد الذين تحدثتم عنهما قبل قليل يشكلان جزءاً من التعريف الذي يمتلكه عن نفسه ويساعده على الشعور بأنه وريث تاريخ طويل هو تاريخ الفردانية المعاصرة . وأضيف إلى ذلك أن موقفي كان نسبياً لفترة طويلة ؛ إذ كنت أقر بوجود عدة عوالم ثقافية وأن العالم الأوربي هو جزء منها وأن العالم الصيني هو عالم آخر وأن لكل منهما قيمه وعقليته الخاصة . وكانت هذه العوالم تبدو لي في عداوة لدودة ومهمتي هي توضيح الانتقال من احدها للآخر والوصل بينهما . ولكن أمام الأزمة التي تمر بها الصين ، تبنيت موقفاً مغايراً وأصبحت لدي قناعة بأن على الصين أن تتبنى مفهومنا عن العقلانية وعن الفرد . وإلا فلن تخرج من

هذه الازمة . وأعتقد بأن العملية سوف تكون طويلة وصعبة ولكنها ضرورية . وعوضاً عن تجاور عالمين ، فإنني أرى من الآن فصاعداً الأسبقية التاريخية لعالمنا وضرورة أن يسير الصينيون على طريقتهم ، في طريق بدأنا باكتشافها قبلهم . وبالطبع هذه الإشكالية معقدة ولايسعني إلا أن ألمح اليها . والرأي الذي أتبناه له نتائج على تفسير تاريخ وفكر الصين القديمين .

**– سيمون جارغي :**

إن أوروبا بالنسبة للعالم الإسلامي هي مرادف للمسيحية . وقد طلبت إحدى طالباتنا مؤخراً تأشيرة دخول إلى بلد عربي . وقد طلب إليها تحديد دينها . وقد أجابت بأنه " ليس لها دين " . وأجابوها : مستحيل " و " مستحيل أيضاً منحك التأشيرة " . فمن وجهة نظر عربية وإسلامية لاوجود للإلحاد والالحاد ليس وضعاً . ومبدئياً ، إذا كنت قادماً من أوروبا فأنت مسيحي أو يهودي . وإذا قلت بأنك بوذي ، يصعب تصديق ذلك – كيف يمكن لبوذي أن يكون أوروبياً ؟ وعلى العكس ؟ اعترف طالبان من طلابي أقاما في بلاد عربية ، بأنهما توصلا للشعور بانهما مسيحيان طالما أنهما كانا مضطرين لتقديم نفسهما على أنهما كذلك .

**– كارل بوسكو :**

ألا نواجه المشكلة ذاتها في أوروبا ؟ أليس العربي بالنسبة لنا مسلماً بالضرورة ؟ انظروا مثلا إلى الصعوبة التي نواجهها في تحديد موقفنا بالنسبة لمسيحيي لبنان

**– روبر هاينمان :**

كل المشكلة هنا . كيف ينظر الشرق الينا وكيف يُعرفنا ؟ في اليابان ، أنا غربي لأنني مسيحي وعقلاني وأتحدث الانكليزية ، فادعاء الشمولية هو أيضا ادعاء الثبات .

**– آلان غروريشار :**

وهو ثبات يسمح مع ذلك بالتفكير في التغير وفي التاريخ.

- شارل جنوغا:

إن المسلمين ينكرون على الغربيين كل كفاءة للتحدث عن ثقافتهم . إن الغربيين لايستطيعون التحدث عن الإسلام لأنهم مسيحيون ولا يتحدثون العربية وليست لديهم المعرفة الراسخة...أضف على ذلك أن اللغة العربية هي لغة الوحي القرآني وهي لغة شبه إلهية .

إن ارادة المسلمين بالحفاظ على دينهم وثقافتهم المرتبطين بعضهما من بعض الدنس يعود أصلها بالنسبة للكثيرين إلى عداوة نسبية إزاء المستشرقين وهي عداوة ربما سعى ادوار سعيد إلى عقلنتها كثيراً وعلى العكس عندما ينكب العرب او الايرانيون على دراسة ثقافتهم الخاصة ، فانهم يكتبون مؤلفات دفاعية أو معرفية بحتة - كتبت بعناية فائقة مع ذلك - ولايمتنعون في الغالب عن تقليد الكتاب الغربيين .

إننا بحاجة إلى جهد عبر تخصصي ضخم لفهم التاريخ القديم في شموليته وحينها قد تظهر معطيات وعلاقات جديدة لم توضحها التخصصات الحالية" .

- روبر هاينمان :

إن الدراسات اليابانية تهدف اليوم الى إقامة متحف حي للثقافة اليابانية . فكل ماوجد في الماضي يستمر في الوجود وبطريقة حية جداً مثل مسرح القرنين الرابع عشر والخامس عشر LE NO ومسرح القرنين السابع عشر والثامن عشر LE KABUKI والأجناس الموسيقية القديمة التي مازالت تمارس كموسيقى البلاط . والشيء نفسه في المجال الأدبي . كل شيء يبقى حياً ، فلا يلغى شيء ولايهمل شيء ولايحل شيء محل شيء آخر وإنما يضاف اليه .

- جان فرانسوا بيلتر :

إنها طريقة في تقديس الأجداد ..

- روبر هاينمان :

إن الأصل القديم هو الفرضية . أما نقيضها فهو الاقتباس والتقليد وهذا مايتقنه اليابانيون على الوجه الأكمل . ومن ثم هناك التركيب . وبذلك يكون لدينا ثلاثة تقاليد تستمر جميعها وتبقى حية . وفيما

يختص بالموقف الأكاديمي فإن اليابانيين حريصون جداً على معرفة رأي الآخرين بهم وكيف ننظر إليهم . كما أن العلماء الغربيين والمختصين بالدراسات اليابانية مثل شامبرلان CHAMBERLAIN معروفون ومحترومون في اليابان . -جان فرانسوا بيلتر :

وفي الصين علينا أن نميز بين إرتكاسات رجل الشارع وارتكاسات المفكرين . إن رجل الشارع الذي لم تتح له فرصة الإختلاط بالأجانب ويتصرف بطريقة ساذجة يعتبرني كائنا لايصنف لأنني أبدو أجنبياً ولكنني أتحدث اليه بلغته .. وعندما يعلم أن زوجتي صينية فإنه سيطمئن ويقول : " إنك صهر الصينيين ! " . وبما انه صنفني ضمن زمرة عائلية فإنه سوف يقبلني بدون تحفظ . أما ارتكاسات المفكرين فهي من طبيعة مختلفة . وهي ترتبط بوعيهم لوضع بلدهم وتتحدد جزئيا بالأوضاع السياسية ... ففي الحقبة الماوية لم يكن بالإمكان الاعتراف بأية أهمية لأعمال صينوي غربي ؛ أما اليوم فالصينيون يترجمون عدة أعمال صينوية أجنبية . وقد أقروا بأننا كنا نملك مناهج مهمة وأن وجهة نظرنا الخارجية كانت تسمح أحيانا باكتشاف المعالم التي لم تكن مرئية بالنسبة اليهم . وتبقى العلاقات بين الصين والعالم الخارجي اشكالية في مجملها . وأعتقد بأن ذلك يعود للمفهوم التقليدي للعلاقات الاجتماعية الذي مازال قوياً حتى اليوم . وقد كانت هذه العلاقات في الماضي تسلسلية في جوهرها : ينبغي أن تأخذ كل علاقة شكلاً وهذا الشكل لابد أن يكون تسلسلياً . ومن هذا المنطلق لم تكن المساواة معروفة لأنه ليس لها شكل . وكانت تبدو كفوضى لايمكن أن يقوم عليها أي شيء . وقد قامت حركات تنادي بالمساواة في الصين ، لكنها لم تتوصل إلى التغلب على هذا الموقف الصلب .

ورغم التطور الفكري السريع ، تبقى هذه التصورات حاضرة اليوم بحيث يحتل الأجنبي المكانة الأعلى أو الأدنى بشكل عفوي ونادرا مايقبل على أساس من المساواة.وهذا ينطبق على الأجنبي كدولة وكفرد.

■■■